المبحث الخامس

حذف الصائت أو تقصيره

أولاً: حذف الصائت القصير من عين (فُعُل) بضمتين:

من مظاهر التغيير في أصوات الكلمة العربية حذف بعض الصوائت منها لعلة قامت في نفوس العرب وأذهانهم ممن جبلوا على الإسراع في النطق والأداء اللغوي؛ ليحققوا من ذلك هدفًا معينًا، هو في أغلب الأحيان التخفف من عبء تلك الحركة، فيلجئون إلى طرحها من كلامهم دون قصد منهم إلى ذلك، لأنه شيء اعتادوه، وجرت عليه طبائعهم، وصار كأنه فطرة لهم، وسليقة عندهم.

وقد فطن إلى ذلك علماء العربية منذ وقت مبكر، فقد تبين لهم مما سمعوه من الناطقين باللغة العربية ولهجاتها في القرون الأولى من مجيء الإسلام أن إسقاط الحركة (الصائت) في صيغ بعينها كان شائعًا في قبائل البدو، وإن لم يكن مقصورًا عليهم في جميع الحالات.

وكان إمام العربية سيبويه من أسبق العلماء الذين سجلوا لنا بعض تلك الصيغ، مع بيان ما يحدث فيها أو يعرض لها من حذف الحركة، وذلك في «باب ما يسكن استخفافا وهو في الأصل متحرك»، يقول: وإذا تتابعت الضمتان فإن هؤلاء [بكر بن وائل وأناسا كثيرين من بني تميم كما تقدم في كلامه] يخففون أيضًا، كرهوا ذلك كما يكرهون الواوين، فكما تكره الواوان كذلك تكره الضمتان؛ لأن الضمة من الواو، وذلك قولك: الرُّسْلُ، والطُّنْبُ والعُنْق، تريد: الرُّسُل والطُّنُب والعُنُق[1].

وهذا الذي ذكره سيبويه من حذف الصائت القصير من عين (فُعُل) في لغة تميم وردت به قراءة يحيى بن وثاب للآيات الآتية:

---

(١) ينظر الكتاب ٤ / ١١٣، ١١٤.

● قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ [المائدة: ١].

قرأ يحيى بن وثاب والحسن البصرى وإبراهيم النخعى «وأنتم حُرْم» بإسكان الراء[١]، وهذه القراءة متفرعة عن قراءة الجمهور من القراء «وأنتم حُرُمٌ» بضم الحاء والراء، وصيغة «فُعُل» هنا جمع تكسير يفيد الكثرة، المفرد منه «حَرَامٌ» بمعنى (مُحْرِم)، وقد جاء بهذا المعنى في بيت المخبل السعدى:

فقلت لها فيئى إليك فإننى حرامٌ وإنى بعد ذاك لبيبُ

يريد: فإننى محرم، وبعد ذلك مُلبٌّ.

وجمع حرام على حُرُم نظير قذال وقُذُل، لكن الأخير مقيس؛ لأنه جمع للاسم الرباعى الصحيح اللام الذى ثالثة حرفُ مدّ، أما (حُرُم) جمع (حرام) فهو شاذ؛ لأنه من قبيل الصفات[٢]، ولا يقاس منها إلا ما كان على فَعُولٍ بمعنى فاعل، مثل صبور وغفور، حيث يجمعان على صُبُر وغُفُر بمقتضى القياس الصرفى[٣].

وقد نسب إسكان الوسط فيما توالت فيه الضمتان على النهج المذكور إلى بنى تميم[٤] يفعلونه فى هذا الجمع وفى أمثاله؛ لأنهم يكرهون توالى حركتين من جنس واحد فى صيغة (فُعُل)، غير أن ابن جنى يرى إن إسكان العين فى (حُرْم) له مزية على غيره مما ليست عينه الراء، وذلك من قبل أن التكرير الذى فى الراء – وهو زيادة فى التصويت بها – كأنه عوض عن الحركة المحذوفة، يقول: «فكادت تكون الراء الساكنة فى (حُرْم) لما فيها من التكرير فى حكم المتحركة؛ لزيادة الصوت بالتكرير نحوا من زيادة الحركة»[٥].

---

(١) ينظر المختصر لابن خالوية ٣٧، والمحتسب، ١/ ٢٠٥، والدر المصون ٤/ ١٨٥، وتفسير القرطبى ٦/ ٣٦، وفتح القدير ٢/ ٥، والإتحاف ١/ ٥٢٨ ونسبت فى الأخير إلى الحسن وحده.

(٢) فى الفتوحات الإلهية ١/ ٤٥٧ حُرُمٌ جمع حَرَام: صفة مشبهة بمعنى اسم الفاعل.

(٣) التبيان فى تصريف الأسماء ١٣٣.

(٤) ينظر الكتاب ٤/ ١١٣، ١١٤، والمحتسب ١/ ٢٠٥، والدر المصون ٤/ ١٨٥، والإتحاف ١/ ٥٢٨.

(٥) السابق من المحتسب.

• ومما توالت فيه الضمتان وسارت فيه تميم على نفس المنهج فى التخفيف قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمُثُلاتُ ﴾ [الرعد: ٦] والمثلات جمع مثلة، وهى اسم للعقوبة، سميت بذلك لما بين العقاب والمعاقب عليه وهو الذنب من المماثلة فى أن كلا منهما مذموم(١).

وقد جاءت فيها عدة قراءات، منها قراءة عيسى بن عمر «المُثُلات» بضمتين(٢)، وهى إما جمع مُثْلة كغُرْفة، وحينئذ يجوز فى جمعها مُثْلات بالضم، ومُثُلات بضمتين ومُثَلات بضم ففتح، كما يقال فى جمع الغرفة: غُرْفات، وغُرُفات، وغُرَفات بنفس الضبط السابق، والجمع الأول منهما محمول على الواحد (مُثْلة وغرْفة)، والثانى بضم الوسط للاتباع، والثالث بفتح الوسط للتخفيف عند قوم(٣).

وإما جمع مُثُلة بضمتين، أى تكون «المُثُلات» فى قراء عيسى بن عمر لغة مستقلة غير متفرعة عن غيرها(٤)، وإنما تفرعت منها «المُثْلات» بضم الميم وإسكان الثاء، وقد وردت قراءة يحيى بن وثاب بها، وهى لغة تميم(٥)، يحذفون الصائت من الوسط بقصد التخفيف؛ لأنهم يكرهون الضمتين المتتاليتين كما يكرهون الواوين المتواليتين، وقد نقلنا ذلك عن سيبويه فيما مضى.

• ومن ذلك أيضًا قراءة ابن وثاب ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ ﴾ [الأنعام: ١] بسكون اللام(٦) من الظلمات، وهى جمع ظلمة بوزن غرفة، وتعامل فى الجمع معاملتها فى جميع وجوهها التى ذكرناها قبل قليل.

---

(١) الفتوحات الإلهية ٢ / ٤٩٢.

(٢) فى البحر ٦ / ٣٥٣: وقرأ عيسى بن عمر، وفى رواية الأعمش وأبو بكر بضمها، أى الميم والثاء – وانظر المختصر لابن خالوية ٧٠، والدر المصون ٧ / ٢٠، والفتوحات الإلهية ٢ / ٤٩٢.

(٣) المصباح المنير ٤٤٥، ٦٩٧ قال: أو الغُرَفات بضم ففتح جمع غُرَف الذى هو جمع غُرْفة.

(٤) فى التاج عن الصاغانى: فى المثلات ثلاث لغات فى المفرد، بالضم، وبضمتين، وبفتح الميم وضم الثاء اهـ ٨ / ١١١ (مثل).

(٥) ينظر معانى القرآن للفراء ٢ / ٥٩، والمختصر لابن خالوية ٧٠، والبحر المحيط ٦ / ٣٥٣ والدر المصون ٧ / ٢٠، والفتوحات الإلهية ٢ / ٤٩٢.

(٦) المختصر لابن خالوية ٤٢ ويقارن مع ص ١٠ منه حيث نسب الإسكان للحسن البصرى وأبى السمال، وانظر المحتسب ١ / ٥٦، والبحر المحيط ١ / ١٣١، وفى الإتحاف ٢٠٥ نسبت إلى الحسن وحده (الطبعة القديمة).

● ومن هذا القبيل أيضًا قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا﴾ [الفرقان: ٦١]، قرأه عبد الله بن مسعود وعلقمة والأعمش «سُرُجًا» بضمتين، جمعًا مقيسا لسراج، وقرأه الأعمش والنخعي وابن وثاب «سُرْجا» بسكون الراء[١] وهو تخفيف لقراءة ابن مسعود السابقة بحذف الصائت القصير منها للعلة التى ذكرها سيبويه، وهى كراهة توالى الضمتين.

وعلى هذا النهج وردت قراءات كثيرة معظمها من القراءات الشاذة مثل:

● قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦] قرأه الجمهور بضم الظاء والفاء، وقرأه أبىّ والحسن والأعرج «ظُفْر» بضم الظاء وسكون الفاء، وذلك للتخفيف بحذف الصائت القصير على لغة بنى تميم[٢].

● وقوله تعالى: ﴿فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾ [يس: ٥٥] قرأه بضم الشين والغين ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى وأبو جعفر ويعقوب وخلف، وقرأه بإسكان الغين نافع وابن كثير وأبو عمرو[٣]، قال صاحب المصباح: والإسكان للتخفيف[٤].

● وقوله تعالى: ﴿فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣] قرئ فَ(رُهُنٌ) بضمتين، وخفف إلى (رُهْن) بإسكان الهاء[٥]، ومن العلماء من جعل «الرهن» بضمتين جمع «رهان» مثل كتب وكتاب، غير أن ابن سيده رفض ذلك؛ لأن «الرهان» عنده جمع «رَهْن» بسكون الهاء، وليس كل جمع يجمع إلا أن ينصّ عليه، بعد ألا يحتمل غير ذلك، ومنهم جعل «الرهن» بضمتين جمع «رَهْن»

---

(١) انظر البحر المحيط ٨/ ١٢٤، والدر المصون ٥/ ٢٦١.

(٢) المختصر لابن خالوية ٤٧، والبحر المحيط ٤/ ٦٧٧، وفى الدر المصون ٣/ ٢٠٦ ط ١٩٩٤م، ذكر فيها خمس لغات، وإعراب الشواذ للعكبرى ١/ ٥١٩، والفتوحات الإلهية ٢/ ١٠٤، والإتحاف ٢/ ٣٨، والمصباح المنير ٣٨٥، ٦٩٧.

(٣) البحر المحيط ٩/ ٧٥، وتحبير التيسير ١٦٥، والنشر ٣/ ٢٦٥، والإتحاف ٢/ ٤٠١.

(٤) المصباح المنير ٣١٦، ٦٩٧.

(٥) المختصر لابن خالوية ٢٥، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٣٤٩، والبحر المحيط ٢/ ٧٤٣، والدر المصون ١/ ٦٨٦ ط ١٩٩٤م، وتفسير القرطبى ٣/ ٤٠٨.

كسقْف وسُقُف، قال الأخفش: وهى لغة قبيحة؛ لأنه لا يجمع فَعْل على فُعُل إلا قليلا شاذا[1].

• ومنه قوله تعالى: ﴿لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾ [الزخرف: ٣٣] قرأه الجمهور بضم السين والقاف، وقرأه أبو رجاء بإسكان القاف، وهو من تخفيف المضموم على لغة بنى تميم[2].

• وقوله تعالى: ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠] قرأه الحسن والضحاك بإسكان القاف وهو من تخفيف المضموم على لغة بنى تميم[3].

• وقوله: ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ [الأنعام: ١١١] قرأه الحسن وأبو رجاء وأبو حيوة بضم القاف وسكون الباء على التخفيف[4].

• وقوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ [الكهف: ٥٥] قرى بإسكان الباء على التخفيف أيضا[5].

• وقوله: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ [الذاريات: ٧] نسب إسكان الباء من (الحبك) إلى ابن عباس، والحسن بخلاف، وأبى مالك الغفارى، وأبى حيوة، وابن أبى عبلة، وأبى السمال، ونعيم عن أبى عمرو[6].

• قوله: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٧] نسب إسكان الراء (عرْبا) إلى حمزة، وناس منهم: شجاع وعباس والأصمعى عن أبى عمرو، وناس منهم: أبو بكر وحماد، وأبان عن عاصم، وهى لغة تميم[7].

---

(١) تفسير القرطبى ٣/ ٤٠٨، والدر المصون ١/ ٦٨٦ ط ١٩٩٤م، واللسان جـ٣ ١٧٥٧، والمصباح ٢٤٢.

(٢) المحتسب ١/ ٢٠٥، ٢/ ٢٨٧، والبحر المحيط ٩/ ٣٧١، والدر المصون ٤/ ١٨٥، وإعراب الشواذ للعكبرى ٢/ ٤٤٥، وفتح القدير ٤/ ٥٥٤، والمصباح المنير ٦٩٧.

(٣) المختصر لاخالويه ٨٤، والبحر المحيط ٧/ ٢٠٠، والدر المصون ٤/ ٤٦٩، والفتوحات الإلهية ٣/ ٣٢ وتفسير القرطبى ١١/ ١٠، وإعراب الشواذ للعكبرى ٢/ ٢٥ والمصباح ٦٩٧.

(٤) البحر المحيط ٤/ ٦٢٢، والدر المصون ٣/ ١٥٩ ط ١٩٩٤م.

(٥) البحر المحيط ٧/ ١٩٤، وتفسير القرطبى ٧/ ٦٦، وإعراب الشواذ للعكبرى ١/ ٥٠٩ والمصباح المنير ٦٩٧.

(٦) البحر المحيط ٩/ ٥٤٩.

(٧) البحر المحيط ١٠/ ٨٢.

• وقوله: ﴿ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الواقعة: ٥٦] نسبَ إسكان الزاى إلى ابن محيصن وخارجة عن نافع، ونعيم، ومحبوب، وأبى زيد، وهارون، وعباس، كلهم عن أبى عمرو(١).

• وقوله: ﴿ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ ﴾ [المائدة: ٤٥] قرأه نافع بإسكان الذال، وهو من تخفيف المضموم(٢).

• وقوله ﴿ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ﴾ [المائدة: ٩٦] قرأه يحيى وإبراهيم باسكان الراء من (حُرُمًا)، وهو من تخفيف المضموم(٣).

• وقوله: ﴿ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ [البقرة: ١٩٦] قرأه الحسن والزهرى بإسكان السين(٤).

• وقوله: ﴿ نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٩٨] قرأه بإسكان الزاى مسلمة بن محارب والأعمش والحسن والمطوعى والنخعى وابن وثاب(٥).

• وقوله: ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ [الواقعة: ٣٤] نسب إسكان الراء من (فرش) إلى أبى حيوة(٦).

• وقوله: ﴿ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ [الواقعة:٩٣] قرئ بإسكان الزاى ولم ينسب إلى أحد(٧).

• وقوله: ﴿ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ ﴾ [الحشر: ١٤] نسب إسكان الدال إلى الحسن وأبى حية، وأبى رجاء وابن وثاب(٨).

• وقوله: ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ ﴾ [الجمعة: ٩] قرأه بإسكان

---

(١) البحر المحيط ١٠ / ٨٧.
(٢) البحر المحيط ٤ / ٢٧٣، والإتحاف ١ / ٥٢٨.
(٣) إعراب القراءات الشواذ للعكبرى ١ / ٤٥٩.
(٤) البحر المحيط ٢ / ٢٦١ وقارن مع إعراب القراءات الشواذ للعكبرى ١ / ٢٣٨ وهما لغتان.
(٥) البحر المحيط ٣ / ٤٨٣، والمختصر لابن خالويه ٣٠، والإتحاف ١ / ٤٩٩.
(٦) المختصر لابن خالويه ١٥١، ١٥٢.
(٧) الكشاف ٤ / ٦٠، والبحر المحيط ٩ / ٣٠٥، ١٠ / ٨٧.
(٨) ينظر المحتسب ٢ / ٣١٦، والبحر المحيط ٨ / ١٤٦، والإتحاف ٢ / ٥٣١.

الميم من «الجمعة» ابن الزبير وأبو حيوة، وابن أبى عبلة، وروى عن أبى عمرو، وزيد بن على، والأعمش والمطوعى، قال أبو حيان وهى لغة تميم(١).

● وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾ [المزمل: ٢٠] نسب إسكان اللام من (ثلثى - ثلثه) إلى ابن السميفع وأبى حيوة، وهشام عن أهل الشام(٢) وإلى الحسن وشيبة وابن مجاهد عن قنبل فيما ذكر صاحب الكامل، وجاء ذلك عن نافع وابن عامر(٣).

● وقوله: ﴿صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ [المدثر: ٥٢] نسب إسكان الحاء إلى سعيد ابن جبير(٤).

● وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩] قرئ بإسكان الحاء فيهما، ونسب إلى الأعمش وهارون، وكلاهما عن أبى عمرو، وهى لغة تميم(٥).

● وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤] نسب إسكان الفاء إلى حمزة وحفص، وهمز حمزة، وأبدلها واواً(٦) وكذلك أسكنها خلف ويعقوب(٧).

وقد جمع صاحب الإتحاف جملة من ألفاظ القرآن جاءت القراءة فيها بضم العين وإسكانها، وصدر كلامه بقوله: واختلف فى تسكين عين كذا وكذا...، ثم قال فى نهايته: ووجه إسكان الباب كله أنه لغة تميم وأسد وعامة قيس، ووجه الضم أنه لغة الحجازيين(٨).

والملحوظ فى الأمثلة التى ذكرها أنه خلط بين ما جاء على «فُعْل» وكان الأصل فى عينه الإسكان، نحو اليسر والعسر، وجزءا، والرعب، والسحت،

---

(١) البحر المحيط ١٠/ ١٧٤، والإتحاف ٢/ ٥٣٨.
(٢) تفسير القرطبى ١٩/ ٥٢.
(٣) البحر المحيط ١٠/ ٣١٩.
(٤) المحتسب ٢/ ٢٤٠، والبحر المحيط ١٠/ ٣٤٠.
(٥) البحر المحيط ١٠/ ٤٥٩.
(٦) البحر المحيط ١٠/ ٥٧٢.
(٧) النشر ٢/ ٢١٦.
(٨) الإتحاف ١٤١، ١٤٣ الطبعة القديمة.

وعقبا، ورحما، ونكرا، وسحقا، وعذرا، ونذرًا، وبين ما جاء على «فُعْل» وكان الأصل فيه ضم العين، نحو القدس، وخطوات، والأكُل، الأذن، وجُرُف، وشغل، وعربا، وخشب، وثلثه، وثلثى الليل[1]، فجعل الضم على إطلاقه لغة الحجازيين، والإسكان على إطلاقه لغة قبائل البدو ومنها قبيلة أسد، والواقع أنه ينبغى التنبيه إلى وجوب الفصل بين النوعين السابقين، فما كان الأصل فى عينه الإسكان، فالإسكان فيه جار على لغة الحجازيين، لما عرف عنهم من المحافظة على الحركة أو السكون، وعدم الميل إلى التغيير، أما غير الحجازيين، وبخاصة بنى أسد فإنهم كانوا يغيّرون فى حركة العين فيما كان من هذا النوع، وقد أبان ذلك الفيومى بما لا يقبل التفصيل، فقال: «كل اسم ثلاثى على «فُعْل» بضم الفاء وسكون العين، فبنو أسد يضمون العين إتباعا للأول نحو عُسُر ويُسُر»[2]، وقد بينا فى مبحث سابق أن ذلك التغيير يطلق عليه الإتباع ويطلق عليه المماثلة التقدمية، والذى دعا إليه هو تحقيق لون من الانسجام الصوتى بين الصوائت فى ألسنة البدو.

أما ما كان الأصل فى عينه الضم مفردًا كان أو جمعًا، فالضم فيه لغة الحجازيين، لأنهم ليسوا من أهل التغيير كما قلنا سابقا، وإسكان العين منه لغة غيرهم من قبائل البدو على سبيل التخفيف، من أجل هذا قلنا إنه خلط الأمثلة من النوعين، ولم يحالفه التوفيق حين نسب الضم على إطلاق إلى أهل الحجاز، ونسب الإسكان على إطلاقه إلى قبائل البدو.

هذا وقد وجدنا أهل الحجاز يسيرون على نهجهم فيضمون العين من أجزاء الواحد فيقولون: الثلث والعُشُر بضمتين، وكذلك فيما بينهما، ومعنى ذلك أنّ هذه الألفاظ مبنية فى أصل وضعها على ضم الوسط، قال الزجاج هى لغة واحدة والسكون تخفيف[3]، والذين يسكنون العين منها للتخفيف هم بنو تميم وربيعة، يقولون الثُّلْث والعُشْر بإسكان الوسط[4].

---

(١) السابق نفسه. (٢) المصباح المنير ٦٩٨.

(٣) انظر معانى القرآن وإعرابه ٢ / ١٧، والكشاف ١ / ٥٠٧، والبحر والمحيط ٣ / ٥٣٦، والدر المصون ٢ / ٣٢٠ ط ١٩٩٤م.

(٤) انظر إعراب القرآن لأبى جعفر النحاس جـ١ / ص ٤٢٨، وفتح القدير ١ / ٤٣٢.

ويبدو أن بنى أسد من بين سائر البدو كانوا يفضلون أو يلتزمون ضم العين فيما كان فيه الأصل سكون العين كما نقلنا عن الفيومى، وفيما كان فيه الأصل ضم العين كما يفهم من كلام أبى جعفر النحاس وأبى حيان والسمين الحلبى[١].

وقد جرت قراءة الجمهور وفق لغة أهل الحجاز فى أجزاء الواحد، ووافقت قراءة الحسن ونعيم بن ميسرة والأعرج لغة ربيعة وبنى تميم من الإسكان والتخفيف[٢].

ثانيًا: حذف الصائت القصير من عين (فَعَل) بفتحتين:

١ – من ذلك قوله تعالى: ﴿وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا﴾ [البقرة: ٣٥]، وفيه لغتان: رَغَدٌ بتحريك الوسط، ورَغْدٌ بإسكان الغين[٣].

وعلى اللغة الأولى جرت قراءة جمهور القراء، وعلى اللغة الثانية وردت قراءة يحيى بن وثاب، وشاركه فيها النخعى، قال السمين: ورَغْدًا بسكون الغين لغة تميم[٤].

٢ – ومن ذلك قوله: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠]، والرغب والرهب بفتحتين مصدر قياسى، على مثال تعب تعبا، وفيه لغة أخرى مسموعة تسكن الوسط منهما[٥]، وعلى القياس فى فتح الوسط جاءت قراءة الجمهور للفظتين من الآية، أما إسكان الوسط منهما فقال الأزهرى: إنه يجوز لغة، ولا نعلم أحدا قرأ بها[٦]، والواقع أنه قرىء بها، وهى قراءة يحيى بن وثاب، وشاركه فيها الأعمش، و« وهيب بن عمرو، وهارون النحوى، وأبو معمر، والأصمعى، واللؤلؤى، ويونس، وأبو زيد » سبعتهم عن أبى عمرو[٧].

---

(١) انظر المواضع السابقة، والمصباح المنير ٦٩٨. (٢) المراجع السابقة.

(٣) تاج العروس ٢/ ٣٥٥ (رغد).

(٤) البحر المحيط ١/ ٢٥٥، تفسير بن عطية ١/ ٢٣٧، تفسير القرطبى ١/ ٣٠٣، فتح القدير ١/ ٦٧، والدر المصون ١/ ٢٨١.

(٥) ينظر العروس ١/ ٢٧٣ (رغب)، ١/ ٢٨٠ (رهب).

(٦) الموضع الأول من السابقين.

(٧) البحر المحيط ٧/ ٤٦٣، والدر المصون ٨/ ١٩٤، تفسير القرطبى ١١/ ٣٣٧، فتح القدير ٣/ ٤٢٥، والإتحاف ٢/ ٢٦٧.

٣ – وعلى النهج السابق جاءت ألفاظ غير قليلة منها:

قوله: ﴿ وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾ [الفرقان: ٦١] قرأه الجمهور بفتح القاف والميم، وقرأه الحسن بفتح القاف وسكون الميم، والأشبه أنها لغات[١].

٤ – وقوله: ﴿ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ﴾ [القصص: ٣٢]، قال أبو حيان: الرهب بفتحتين الكم بلغة حمير وحنيفة[٢] وقال مقاتل معناه فى الآية: كُمُّ مدرعته، قال الأزهرى: وهو صحيح فى العربية، والأشبه بسياق الكلام والتفسير، والله أعلم بما أراد[٣]، وقال مقاتل أيضًا: خرجت ألتمس تفسير «الرَّهْب» فلقيت أعربية وآنا آكل، فقالت: يا عبدالله، تصدَّق علىَّ، فملأت كفى لأدفع إليها، فقالت: هاهنا فى رَهْبِى، أى فى كمِّى[٤].

وعلى لغة حمير وحنيفة – والأقرب أنها لغة الحجاز – جاءت قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو (من الرهب بفتح الراء والهاء، وعلى اللغة التى تكلمت بها الأعرابية – والأقرب أنها لغة تميم – وردت قراءة حفص بفتح الراء وسكون الهاء[٥].

٥ – وفى قوله: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ [المسد: ١]، وقوله ﴿ ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ [المسد: ٣] كلمة «اللهب» فيها لغتان: إسكان الهاء، والتحريك، قال صاحب التاج: الأولى لغة فى الثانية كالشَّمْع والشَّمَع، والنهْر والنهَر، ومنه قراءة ابن كثير «تبت يد أبى لهب» بسكون الهاء[٦]، ووافقه ابن محيصن فى إسكان الهاء، وفتحها باقى القراء السبعة[٧].

---

(١) انظر إعراب القراءات الشواذ للعكبرى ٢ / ٢٠٤، الأصل والهامش، والإتحاف ٢ / ٣١٠.

(٢) البحر المحيط ٨ / ٣٠٣، والدر المصون ٥ / ٣٤١ الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

(٣) تاج العروس ١ / ٢٨١ (رهب).

(٤) المفردات فى غريب القرآن ٢٠٤.

(٥) انظر إعراب القراءات الشواذ للعكبرى ٢ / ٢٥٩ الأصل والهامش، والبحر المحيط ٨ / ٣٠٣، والدر المصون ٥ / ٣٤١ ط ١٩٩٤م: وفيه قراءة ثالثة بالضم، ورابعة بضمتين.

(٦) تاج العروس ١ / ٤٧٥ (لهب).

(٧) البحر المحيط ١٠ / ٥٦٦، وإعراب القراءات الشواذ للعكبرى ٢ / ٧٥٦ الأصل والهامش.

٦ – ومن ذلك قوله: ﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ ﴾ [يونس: ٢٦] قرأه الجمهور بفتحتين، وإسكان التاء قراءة الحسن والأعمش وعيسى بن عمر وأبى رجاء وعياض، قال أبو حيان: وهي لغة كالقدْر والقدَر[١].

٧ – وقوله: ﴿ يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [القصص: ٥٧] قرأه الجمهور (ثمرات) بفتحتين، وقرأه بعضهم بفتح الثاء وإسكان الميم، طلبا للتخفيف، وهو شاذ فى القياس[٢]، قال ابن جنى: فأما فَعْلَة بالفتح فلا بد فيه من التثقيل إتباعا، فتقول: ثمرة وثمرات، .. وروينا أن بعض قيس قال: ثلاث ظبْيَات فاسكن موضع العين، وروينا عن أبى زيد أيضًا عنهم: شَرْية وشرْيات وهو الحنظل[٣].

٨ – وقوله: ﴿ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ ﴾ [الروم: ٣]، قرأه الجمهور بفتح الغين واللام، وقرأه على بن أبى طالب، وأبو حيوة، والشامى، وابن السميفع، وابن عمر، ومعاوية بن قرة بفتح الغين وسكون اللام[٤].

وبعد فيمكننا من خلال العينة السابقة أن نستخلص ما يأتى:

أولاً: «فَعْلٌ وفَعَلٌ» فيما توارداً عليه من الألفاظ ليس أحدهما فرعًا عن الآخر، وإنما هما لغتان أصليتان عند من ينطق بهما، وقد فطن إلى ذلك سيبويه منذ وقت مبكر، فقرر أن ما توالت فيه الفتحتان لا تسكن عينه من أجل التخفيف؛ لأن الفتح أخف عليهم، وهو بذلك يخالف ما تتابعت فيه الضمتان والكسرتان[٥]، وقد أوضح ذلك ابن جنى عند قوله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [البقرة: ١٠] فقال: لا يجوز أن يكون (مَرْض) – الذى رواه الأصمعى عن أبى عمرو فى الموضعين – بسكون الراء مخففا من (مرض) بفتح الراء؛ لأن

---

(١) البحر المحيط ٦ / ٤٤، وإعراب القراءات الشواذ للعكبرى ١ / ٦٤٤ الأصل والهامش.

(٢) البحر المحيط ٨ / ٣١٥، وإعراب القراءات الشواذ للعكبرى ٢ / ٢٦٤ الأصل والهامش.

(٣) المحتسب ١ / ٥٦.

(٤) البحر المحيط ٨ / ٣٧٤، وإعراب الشواذ للعكبرى ٢ / ٢٧٨، وفتح القدير ٤ / ٢١٤.

(٥) الكتاب ٤ / ١١٢– ١١٥ بتصرف، وقارن مع المحتسب ١ / ٢٦١.

المفتوح لا يخفف، وإنما ذلك فى المكسور والمضموم[1]، أى إن الصيغتين المذكورتين مبنيتان على الخفة، وما كان كذلك فليس بحاجة إلى التخفيف.

ثانيا: إن الذين يفتحون العين من الألفاظ السابقة هم جمهور القراء، وهذا يدل على أن لغة العرب الذين يتكلمون بذلك هى الأكثر والأفشى فى الأستعمال.

ثالثا: إن «فَعَل» بفتح العين من الألفاظ المذكورة فى الآيات يرجح أنها الصيغة الحجازية؛ لأن الحجازيين بما جبلوا عليه من التأنى والتؤدة فى الأداء اللغوى كانوا يحرصون على اكتمال الحركات، بينما يرجح أن صيغة (فعْل) بسكون العين تنسب إلى قبائل تميم ومن جاورها فى شرقى الجزيرة العربية ووسطها[2]، يدل على ذلك قول أبى حيان – فيما سبق – و«رغدا» بسكون الغين لغة تميم، ونطق الأعرابية – فيما نقلناه عن الراغب – لكلمة الرهب بسكون الهاء، يضاف إلى ذلك إشارة ابن جنى إلى أن قيسا كانت تقول «ظبْيات وشرْيات» بإسكان الوسط، بينما ينطق غيرهم بفتح الباء من الكلمة الأولى، وفتح الراء من الكلمة الثانية.

رابعا: إن الفتحة فى عين (فَعَل) وإن كانت موجودة فى المبنى الأصلى عند الحجازيين إلا أنه ينظر إليها فى ضوء الصيغة التميمية كأنها زائدة مع أنها ليست بزائدة، وينظر إلى صيغة (فعْل) فى لغة بَنى تميم كأن الفتحة منتقصة منها ومحذوفة من العين، وليس ثمة حذف فى حقيقة الأمر، وإنما هو شىء نسبىّ فقط.

وقد رأينا أن قراءة ابن وثاب– فيما مضى – قد التزمت الصيغة التميمية التى بنيت على حذف الصائت القصير من عين (فَعَل) دون أن تكون فرعا عنها، وهنا تبدو الصلة قوية وواضحة بين القراء وبين البيئة التى عاشوا فيها، فابن وثاب والنخعى والأعمش وعاصم الذى أخذ عنه حفص، وابن محيصن وعلى بن أبى طالب.. هؤلاء جاءت قراءتهم وفق الصيغة التميمية، وكانوا

---

(١) المحتسب ١/٥٣، ٥٤، وقارن مع البحر المحيط ١/٩٥، والدر المصون ١/١٢٩.

(٢) اللهجات العربية فى التراث ٢٤٧ بتصرف.

جميعًا يعيشون فى الكوفة التى كانت مسكنا لبعض قبائل البدو، وقريبة من منازل البعض الآخر.

ثالثًا: حذف الصائت من عين (فَعِل) مع التعديل في الصائت المجاور أحيانا:

من ذلك قوله تعالى: ﴿وحرامٌ علىٰ قريةٍ أهلكناها أنَّهم لا يرجعون﴾ [الأنبياء: ٩٥]، قال الفيومى: والممنوع يسمى حراما.. وقد يقصر، فيقال (حَرَمٌ)، مثل زمان وزمن، و«الحِرْمُ» وزن حمل لغة فى الحرام أيضًا[١].

والملحوظ هنا أن اللغة الأولى التى جاءت عليها قراءة الجمهور من القراء[٢] هى الصيغة التامة، وهى قراءة أهل المدينة، وهى الأفشى فى القراءة[٣].

أما اللغة الثانية فقد تفرعت منها بتقصير الفتحة الطويلة، غير أنه لم يقرأ بها.

وأما الثالثة (حِرْم) - وهى قراءة حمزة والكسائى وياسين عن عاصم[٤]، وابن عباس وسعيد بن جبير ويحيى بن وثاب، وإبراهيم النخعى والأعمش، ورويت عن علىّ، وابن مسعود[٥]، فيمكن أن ينظر إليها على أنها لغة مستقلة كما صرح بذلك طائفة من العلماء[٦]، وأن ينظر إليها على أنها إحدى التفريعات من قراءة عكرمة «وحَرِمٌ» بوزن كتف[٧]، وذلك بعد نقل[٨] حركة الراء إلى الحاء، من أجل التخلص من كراهة الانتقال من الخفيف وهو الفتحة إلى الثقيل وهو الكسرة، فى الأصل الثلاثى المبنى أساسا على الخفة.

---

(١) المصباح المنير ١٣١ (حرم)، ويقارن مع ٢ / ٨٤٤، ٨٤٩ من لسان العرب.

(٢) السبعة لابن مجاهد ٤٣١، البحر المحيط ٧ / ٤٦٥، الموضح لابن أبى مريم ٢ / ٨٦٧، والنشر ٢ / ٣٢٤.

(٣) اللسان ٢ / ٨٤٩.

(٤) الموضح لابن أبى مريم ٢ / ٨٦٧، وزاد فى البحر المحيط أبو بكر وطلحة وأبو حنيفة وأبو عمرو فى رواية.

(٥) معانى القرآن للفراء ٢ / ٢١١، وفتح القدير ٣ / ٤٢٦، والإتحاف ٢ / ٢٦٧.

(٦) السابق من معانى الفراء، والحجة لابن خالويه ٢٥١، وإعراب القرآن للنحاس ٢ / ٣٨٢، والموضح لابن أبى مريم ٢ / ٨٦٧، والمصباح المنير ١٣١.

(٧) المحتسب ٢ / ٦٥، والبحر المحيط ٧ / ٤٦٥، والدر المصون ٥ / ١٠٨ ط ١٩٩٤م.

(٨) نقل الحركة من الحرف يعنى حذفها منه وإعطاء ها لغيره.

وقد فعل ابن وثاب مثل ذلك عند ما قرأ قوله تعالى: ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾[الأعراف: ١٦٥] بكسر الباء وسكون الهمزة، على وزن «فِعْل»[١] وهى متفرعة من قراءة زيد بن ثابت (بئس) بوزن كتف باعتبارها الأصل أو اسما مقصورا من قراءة الجمهور».

وبذلك تكون قراءة ابن وثاب الأولى النظير لقراءة ابن عباس «وحَرْمٌ» بوزن فخْذ[٢] فى التفريع من قراءة عكرمة، حيث تم الانتقال فى قراءة ابن عباس من الخفيف وهو الفتحة إلى ما هو أخف وهو السكون[٣]، وهذان هما التفريعان الجائزان فيما لم تكن عين الاسم منه حرفا حلقيا[٤].

وقد سلك ابن وثاب مسلك ابن عباس السابق فى التفريع والتخفيف عندما قرأ الفعل فى قوله: ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤] بفتح النون وسكون العين[٥]، وهو هنا قد خفف الأصل (نَعِم) كعلم، وجرى على لغة تميم التى تسكن عين فَعِل مطلقا[٦].

وكنا قد ذكرنا فى مبحث المماثلة أنه قرأ (فَنِعِم) بكسر النون والعين، وكسرت النون إتباعا لكسرة العين، ليحصل نوع من التخفيف بالخروج من كسر إلى كسر، لأن اللسان حينئذ يعمل فى جهة واحدة[٧].

وابن وثاب بذلك الصنيع يكون قد جمع فى قراءته كل التفريعات الجائزة فى صيغة (فَعِل) بغض النظر عن كونها اسماً أو فعلاً، ويكون ممثلا لقبائل شرقى الجزيرة العربية التى كثرت تلك التفريعات فى كلامها، ولكثرة ما سمع منها حكموا بأن ذلك مطرد فى لهجات تميم وأسد وبكر بن وائل وتغلب وقيس فإنهم

---

(١) المحتسب ١/ ١٦٤، ١٦٥. (٢) المحتسب ٢/ ٦٦ بسكون الوسط.

(٣) ينظر الكتاب ٤/ ١١٣ «باب ما يسكن استخفافا وهو فى الأصل متحرك»، وشرح الشافية للرضى ١/ ٤٢.

(٤) ينظر التبيان فى تصريف الأسماء ١١.

(٥) ينظر المحتسب ١/ ٣٥٦، والبحر ٦/ ٣٨٢، والدر المصون ٧/ ٤٥.

(٦) السابق من الدر المصون.

(٧) الكتاب ٤/ ١١٣ وما بعدها، والدر المصون ٢/ ٦٠٩، والإتحاف ١/ ٤٥٥.

يفرعون على بعض الأبنية لقصد التخفيف..، وأهل الحجاز لا يفرعون ولا يغيرون البناء[1].

رابعًا: تقصير الصائت الطويل:

جاء ذلك فى قوله تعالى: ﴿ **فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ** ﴾ [النساء: ٣].

حيث قرأ الجمهور «ثُلاَثَ ورُبَاعَ»، بإثبات الألف على وزن «فُعَال»، وهى منصوبة على الحال، وغير منونة؛ لمنعها من الصرف عند جمهور النحاة، إما للعدل والوصف، وإما للعدل والتعريف بنية الألف واللام، وإما للعدل وحده حيث أوجب حكمين مختلفين: هما العدل عن تكرار العدد، والعدل عن التأنيث، أو هما العدل عن تكرار الصيغة، والعدل عن معناه وهو الإخبار عن مقدار المعدود دون غيره إلى بيان ترتيب الفعل، فجاز أن يقوم مقام علتين[2].

وقرئت الألفاظ الثلاثة الأخيرة من الآية «ثُنى وثُلَثَ ورُبَعَ» -وكلها على وزن «فُعَل»، من غير ألف، أى بتقصير الألف الطويلة إلى الفتحة القصيرة.

واللفظ الأول منها «ثُنَى» قرأ به إبراهيم النخعى، وهو مقصور من ثُنَاء، واللفظ الثانى قرأ به النخعى أيضًا، وهو مقصور من «ثُلاَث»، واللفظ الثالث «رُبَع» مقصور من «رُبَاع» قرأ به ورواه الأعمش عن يحيى بن وثاب، وقرأ به ورواه المغيرة عن إبراهيم النخعى[3].

وقد ضبط ابن جنى الصيغة الأخيرة بقوله «مرتفعة الراء، منتصبة العين بغير ألف[4] أى بضم الأول وفتح الثانى، وذلك ينسحب على الصيغتين الأولى والثانية[5].

---

(١) ينظر السابق من الكتاب، والمخصص ١٤، ٢٢٠، وشرح الشافية للرضى ١/ ٤٠، والتصريح على التوضيح ٢/ ٩٥، والتبيان فى تصريف الأسماء ١٠، واللهجات فى الكتاب لسيبويه أصواتا وبنية ١٣٣ - ١٣٨.

(٢) الدر المصون ٣/ ٥٦٢، ٥٦٣.

(٣) ينظر فى نسبة القراءات المذكورة المحتسب ١/ ١٨١، والبحر المحيط ٣/ ٥٠٦، والدر المصون ٣/ ٥٦٥، وتفسير القرطبى ٥/ ١٥.

(٤) السابق من المحتسب.

(٥) السابق من الدر المصون.

قال أبو الفتح فى التعليل لقراءة يحيى بن وثاب وإبراهيم النخعى « وربَعَ » ينبغى أن يكون محذوفًا من « رُبَاع » تخفيفا، وذكر عددًا من الألفاظ التى عدل فيها عن الألف الطويلة إلى الفتحة القصيرة، غير أن بعضا منها لا يصلح – فى رأينا – للتنظير؛ لأنه من باب الضرورة التى فرضها الوزن الشعرى، ومن ذلك حذف الألف من لفظ الجلالة فى الشطر الأول:

ألا لا بارك الله فى سُهَيْلٍ إذا ما الله بارك فى الرجال

لأن البيت من بحر الوافر، ووزنه كالآتى:

ألا لابا / ركلْلَهُفى / سهيلنْ.

مفاعلْتن / مفاعلَتن / مُفَاعَلْ

ومما لا يصلح للتنظير أيضًا « الطَّلَل » مقصورا من الطِّلال جمع طلّ، وذلك فى قول الشاعر:

*** مثل النقالبّده ضَرْبُ الطَّلَلْ ***

لأن البيت من الرجز، ووزنه كالآتى:

مثلنْنقا / لبْبدهو / ضَرْبُطْطلَلْ

مستفعلن / مستعلن / مستفْعلن

أما ما يصلح للتنظير به فهو ما ذكره ابن جنى من حذف ألف « أَمَا » فى قولهم: « أَمَ واللهِ لأفعلن كذا »، وما ورد فى قراءة من قرأ « هانتم » بوزن « أَعَنْتُمْ » فحذفت الألف من (أما) و(ها) واكتفى عنها بالفتحة القصيرة من أجل التخفيف(١).

ومن نظائر هذا الحذف الذى يكون لمجرد التخفيف قولهم: رجل عُلاَبط وعُلَبِط، ورجل دراهم ودرهم، وخزاخز وخزخز، ولبن عجالط وعجلط، وعكالط وعكلط، وقولهم فى التكسير: جنادل وجندل، وذلاذل القميص وذلذله، وشىء

---

(١) المحتسب ١/ ١٨١.

خنائر وخنثر[1]، وقاعدة ذلك أن اللفظ بعد حذف بعض أصواته يبقى على صورته دون تغيير مادام موافقا لمثال جاء عن العرب يعد نظيرا له[2].

وإذا كان أهل الحجاز قد عرف عنهم إتمام الحركات وتوفيتها حقها من الطول والقصر، بينما عرف عن البدو الإسراع فى النطق والأداء، فليس من المستبعد أن تكون الصيغ التامة الطول «ثلاث ورباع» واردة على لغة الحجازيين، وأن تكون الصيغ المخففة بتقصير الصائت الطويل واردة على لغة البدو، وأن يكون بعض هؤلاء قد أمعن فى طلب التخفيف بإجراء المماثلة التقدمية فى الصيغتين المخففتين، وعلى لغتهم قرأ النخعىّ: «وثُلُثَ ورُبُعَ» بضم الثاء واللام من الكلمة الأولى، وبضم الراء والباء من الكلمة الثانية[3]، وفى ذلك تحقيق لمبدإ الانسجام الصوتى بين الحركات المتجاورة؛ لأن إخراج الحركتين المتجاورتين من المخرج الواحد أخف وأسرع مما لو أخرجت إحداهما من مخرج وأخرجت الأخرى من مخرج غيره.

● ويمكن أن يعد من أمثلة ذلك قوله: ﴿ **قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ** ﴾ [الحجر: ٥٥].

قرأ الجمهور «القانطين» بألف بعد القاف، وهو اسم فاعل من الفعل (قنط) من باب ضرب، أو من باب قعد.

وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش وطلحة بن مصرف والحسن، والجعفى عن أبى عمرو (من القنطين) بغير ألف بعد القاف[4].

---

(١) العلابط: الضخم الشديد - الخزاخز: القوى الشديد- العجالط والعكالط: اللبن الخاثر - والجنادل: الحجارة الكبيرة - وذلاذلا القميص: ما يلى الأرض من أسافله -والخنائر: الأشياء الخسيسة تبقى من متاع القوم فى الدار إذا تحملوا.

(٢) انظر الخصائص ٣ / ١١٤، وقارن مع اللسان ٤ / ٣٠٦٥، ومع أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى ١١٢، ١١٣.

(٣) ينظر الكشاف للزمخشرى ١ / ٤٩٧، وإعراب القراءات الشواذ للعكبرى ١ / ٤٦٦.

(٤) ينظر المختصر لابن خالوية ٧٥، والمحتسب ٢ / ٤، ٥، والبحر المحيط ٦ / ٤٨٦، والدر المصون ٧ / ١٦٧، وإعراب القرآن للنحاس ٢ / ٣٨٣، ٣٨٤، وفتح القدير ٣ / ١٣٥، والإتحاف ٢ / ١٧٧.

وقد فسرت القراءة الأخيرة باحد تفسيرين: **أولهما**: أن يكون أصلها «القانطين» كقراءة الجماعة، وحذفت الألف تخفيفا، أى قصرت الفتحة الطويلة إلى الفتحة القصيرة، والعرب تحذف ألف فاعل فى نحو هذا تخفيفا، وذلك كما فى قول الراجز:

أصبح قلبى صَرِدا لا يشتهى أن يردا
إلا عـرادا عَـرِدَا وصـليانـا بَـرِدَا
وعنكـثا مـلتبدا

أراد عاردا، وباردا، لكنه حذف الألف تخفيفا.

وثانيهما: أن يكون (القنطين) بغير ألف صفة مشبهة باسم الفاعل، والفعل من باب تعب، وليس ثمة حذف؛ فيكون جاريا على إحدى اللغات فى الفعل، وليس تخفيفا من القانطين[1].

ونظير هذه القراءة قراءة أبى حيوة وأبى بحرية وابن أبى عبلة: ﴿**أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ**﴾ [النازعات: ١٠] قرءوا «الحفرة» بغير ألف، وهى مثل بارد وبرد بمعنى واحد[2]، والحافرة فاعلة بمعنى مفعولة يراد بها القبور، وقيل النار، وقيل الحياة الثانية، وقيل الأرض المنتنة[3].

ومثلهما قراءة أبى رجاء والحسن والأعرج وأبى جعفر وشيبة والسلمى وابن جبير والنخعى وقتادة وابن وثاب وأيوب وأهل مكة وشبل، والسبعة ماعدا الأخوين: ﴿**أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً**﴾ [النازعات: ١١] بغير ألف، وهى تقابل قراءة عمر، وأبىّ، وعبدالله، وابن الزبير، وابن عباس، ومسروق، ومجاهد، والأخوين، وأبى بكر: (ناخرة) بالألف[4]، قال أبو شامة: نخرة وناخرة بمعنى

---

(١) ينظر المحتسب ٢/ ٥، والدر المصون ٧/ ١٦٧، وابن عقيل ١/ ٤٢٥، واللسان والمصباح (قنط).

(٢) البحر المحيط ١٠/ ٣٩٧، إعراب القراءات الشواذ للعكبرى ٢/ ٦٧٤، ٦٧٥.

(٣) السابق من البحر المحيط.

(٤) السابق من البحر المحيط.

واحد، أى بالية، وفى قراءة القصر زيادة مبالغة[1]؛ لأن فاعلا يكون لمن صدر منه الفعل، وفَعِلاً يكون لمن كان فيه غريزة أو كالغريزة[2].

● ومن الأمثلة على تقصير الصائت الطويل أيضًا قوله تعالى: ﴿قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي﴾ [طه: ٨٤].

وفى اسم الإشارة عدة قراءات: منها قراءة الجمهور: «أولاء» بالهمزة الممدودة التى تلى الألف، ومنها قراءة يحيى بن وثاب وعيسى بن عمر: «أولا» بالقصر بدون همزة مثل (عُلاَ)[3].

وقد نسب الإتمام فى اسم الإشارة المذكور إلى أهل الحجاز، بينما نسب القصر إلى بنى تميم[4]، ولا يخفى على القارئ التجوز فى المصطلح؛ لأن الأسماء المبنية لا يقال فيها مقصور وممدود إلا على سبيل التشبيه بالأسماء المتمكنة المعربة، عند قصد التفريق بين لغة الحجاز وتميم[5]، فهو يشبه فى المعربات مثلا قول أهل الحجاز «شَرَى شِراء» بالمدّ، وقول أهل نجد «شَرى شِرًا» بالقصر[6].

فالتقصير الذى حدث فى «أولا» التميمية النجدية تم بحذف الهمزة المكسورة فى آخره، والتى هى فى التقدير ألف ثانية؛ لأن الألف الأولى فى الصيغة الحجازية كان قد زيد فى مدّها بمقدار ألف أخرى فتولدت منها الهمزة فى لغتهم.

والتجريد المقطعى يشير إلى أن الصيغة الحجازية أوفر فى عدد المقاطع الصوتية، إذ تبلغ مقاطعها فى العدّ ثلاثة، وهى:

---

(١) إبراز المعانى من حرز الأمانى ص ٧١٨.

(٢) الدر المصون ٦/ ٤٧٢ ط ١٩٩٤م.

(٣) ينظر شواذ القراء واختلاف المصاحف للكرمانى ١٥٣، وإعراب القراءات الشواذ ٢/ ٨٣، وينظر الكشاف ٢/ ٥٤٨، والبحر ٧/ ٣٦٦، والدر المصون ٨/ ٨٨.

(٤) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٥٣، وتفسير القرطبى ١١/ ٢٣٣، وفتح القدير ٣/ ٣٧٩، واللسان ٣/ ١٤٧٥ (ذا).

(٥) ينظر تصريف الأسماء، د. أحمد كحيل ٩٦.

(٦) المخصص ١٦/ ١٦، واللسان ٤/ ٢٢٥٣ (شرى)، وينظر المصباح المنير ٣١٢ وفيه حكاية لمعركة قامت بين اليزيدى والكسائى.

أُ = ص ح + لا = ص ح ح + ءِ = ص ح

أما الصيغة التميمية فلا تتجاوز المقطعين الأول والثانى.

ومن القراءات فى اسم الإشارة المذكور قراءة يحيى بن وثاب (أولاىَ)، بالف بعدها ياء مفتوحة، وهى فى الضبط مثل (هُدَاى)[1].

وهذه القراءة لا يمكن فهمها إلا فى ضوء قراءة الجمهور (أولاء) بالإتمام، ثم فى ضوء قراءة الحسن وابن معاذ (أولاىِ) بياء مكسورة فى آخره، قال صاحب الدرّ المصون: أبدلا الهمزة ياء تخفيفا[2].

والذى نراه أن الأصل هو قراءة الجمهور (أولاء) بهمزة محققة فى آخره خالصة الانحباس والشدة والانفجار، ثم تطورت فى السنة بعض العرب إلى الصورة التى جاءت عليها قراءة الحسن وابن معاذ، غير أننا لا نقول بالإبدال إلى الياء كما قال السمين الحلبى، وإنما نقول جعلا الهمزة بين الهمزة والياء، لأنها همزة مسبوقة بألف وحكمها عند التخفيف أن تصير إلى همزة بيْن بيْن بمقتضى القياس[3]، ولله در ابن القاصح حينما ضبطها فى قوله «بكسرة ملينة من غير همز ولا مد ولا ياء[4]، وهذا الموضع لم تضع له الكتابة العربية رمزاً يضبطه، وإنما يضبطه الأداء والمشافهة[5]، وإذا اضطر العلماء إلى تسجيل ذلك بالكتابة عبروا عن الكسرة الملينة أو همزة بيْن بيْن التى معناه بالياء المكسورة، مشيرين بذلك إلى الانتقال السريع من الوضع الذى يشبه الانحباس فى الحنجرة إلى الوضع الذى يأخذه اللسان حينما يرتفع قليلاً عن وضعه مع الكسرة العربية.

ولنا بعد ذلك أن نقول إن الصورة التى جاءت عليها قراءة يحيى بن وثاب

---

(١) المختصر لابن خالوية ٩١، ونسبت فى معانى القرآن للفراء ٢ / ١٨٨ إلى بعض القراء، وفى البحر المحيط إلى فرقة ٧ / ٣٦٦، وفى الدر المصون ٨ / ٨٨ وقرأت طائفة.

(٢) الموضعين السابقين من البحر المحيط والدر المصون.

(٣) تنظر المواضع القياسية لهمزة بيْن بيْن فى رسالتى للماجستير «الهمز والتسهيل فى القراءات واللهجات العربية» ص ٣٢، والمراجع المذكورة فى الهامش.

(٤) انظر هامش الإتحاف ٢ / ٢٥٤.

(٥) ينظر الكتاب – أول باب الإدغام – ٤ / ٤٣١ وما بعدها.

(أولايَ) بياء مفتوحة تمثل التطور الثانى عن قراءة الجمهور ولهجة أهل الحجاز، حيث يفترض أن بعض الناطقين من العرب أشبع الهمزة الأخيرة من الصيغة الحجازية (أولاء) مبالغة فى بيان الهمزة وكسرتها، فصاروا إلى الصيغة المشبعة (أولائى) فرضا، ثم حدث أنهم قاسوا هذه الصيغة على الممدود المضاف إلى ياء المتكلم قياسا خاطئا، فشبهوها بـ «شركائى[1]»، أو بكلمة «آبائى» أو بكلمة «دعائى» وما يشبهها، مما يجوز فى يائه الإسكان والفتح فى قياس أهل اللغة، فكان من يهمز ويفتح الياء يقول «شركائىَ» و«آبائىَ» و«دعائىَ»، وكان من يحذف الهمزة ويبقى على الياء المفتوحة يقول: «آبايَ» و«دعايَ» و«وشركايَ»، وعلى سبيل القياس الخاطىء يقولون: «أولايَ»، وعلى هذا النهج جرت قراءة يحيى بن وثاب التى معناه: «هم أولايَ على أثرى» بترك الهمزة، وإثبات الياء المفتوحة.

وهذا الذى سبق إيضاحه ذهب إليه الفراء، وأجمله فى عبارته: «وقد قرأ بعض القراء (أولايَ) بترك الهمز، وشبهت بالإضافة إذا ترك الهمز، كما قرأ يحيى ابن وثاب: ﴿ مِلَّةَ آبَايَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [يوسف: ٣٨][2]، ﴿ وَتَقَبَّلْ دُعَايَ * رَبَّنَا ﴾[إبراهيم: ٤٠، ٤١][3].

وقد اختلفت نظرة اللغويين والقراء إلى هذا القراءة (أولايَ) من ناحية التوجيه والتفسير، ومن جهة صوابها اللغوى، وقد ذكرنا فيما سبق أن الفراء يقبلها ولا يغلطها، ويفسرها بما يسميه المحدثون القياس الخاطىء[4].

وعلى هذا النهج سار أبو البقاء العكبرى، فقال: «هم أولاء» يقرأ بالقصر

---

(١) انظر لغة هذيل ٩٨.

(٢) وقرأ بذلك الأعمش أيضًا كما فى المختصر لابن خالوية ٦٨.

(٣) معانى القرآن للفراء ٢/١٨٨.

(٤) القياس الخاطىء علة معتمدة عند المحدثين فى تفسير بعض المشكلات اللغوية التى لا يظهر لها وجه صحيح فى أقيسة القدماء الصحيحة بطبيعة الحال، وقد اعتمدها من المحدثين الدكتور إبراهيم أنيس فى كتابه من أسرار اللغة ٤٤، والدكتور عبده الراجحى فى كتابه اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ١٣٢.

مثل عُلا، وهى لغة، ويقرأ بالف بعدها ياء مفتوحة مثل هُدَايَ، والوجه أنه أبدل الهمزة ياء وفتحها تخفيفا»[1]، وهذا معناه أن اللفظة مرت بطورين:

الأول: (أولاى) بياء مكسورة مبدلة من الهمزة على سبيل التخفيف[2]، وهذه نسبها صاحب الإتحاف إلى الحسن البصرى[3].

الثانى: أن هذه الياء المكسورة فتحت بطريق القياس الخاطىء على ياء المتكلم، وهى ليست كذلك، فكما قالوا: إياىَ، وهداىَ، ومحياىَ.. قالوا: أولاىَ، متوهمين أنها ياء المتكلم.

وهى فى وجهيها السابقين تشبه ﴿هِيَ عَصَايَ﴾ [طه: ١٨] حيث جاءت القراءة بفتح الياء الخفيفة وكسرها، والكسر هو قراءة الحسن وأبى عمرو[4].

هذا وهناك آخرون حكموا على قراءة (أولاىَ) بالغلط، منهم النحاس والزجاج، قال أبو جعفر: «وزعم أبو إسحاق أن هذا لا وجه له، وهو كما قال؛ لأن هذا مما لا يضاف فيكون مثل هداىَ»[5]، ومنهم السمين الحلبى، قال: وقرأت طائفة (أولاىَ) بياء مفتوحة، وهى قريبة من الغلط[6].

ونحن من جانبنا لا نملك إلا قبول هذه القراءة، مادامت قد صحت روايتها وتناقلتها الكتب المعتمدة، ونذهب مذهب الفراء والكوفيين فى اعتمادها وإن لم يكن لها نظير فيما نقلوه من لغة العرب؛ لأن أئمة القراءة لا يعولون على الأفشى فى اللغة والأقيس فى العربية، بل على الأثبت فى الأثر، والأصح فى النقل والرواية[7].

● ومن الأمثلة على تقصير الصائت الطويل أيضًا قوله تعالى: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

---

(١) إعراب القراءات الشواذ ٢/ ٨٣.
(٢) ذكرنا فيما مضى أن القياس فى تخفيفها أن تكون بيْن بيْن.
(٣) الإتحاف ٢/ ٢٥٤، وقارن مع الدر المصون ٨/ ٨٨.
(٤) انظر المحتسب ٢/ ٤٨، ٤٩، وإعراب القراءات الشواذ ٢/ ٦٨.
(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٥٣. (٦) الدر المصون ٨/ ٨٨.
(٧) ينظر النشر ١/ ١٠، والبحث اللغوى عند العرب ١٣ وما بعدها.

قرأه الجمهور «وبالنجم» بفتح النون وسكون الجيم، والمراد به كوكب بعينه، يقال هو الجدى أو الثريا أو الفرقدان، وقيل هو اسم جنس[١].

وقرأه الحسن البصرى «وبالنُّجُم» بضم النون والجيم[٢]، وقرأه هو أيضًا بضم النون وسكون الجيم هنا وفى سوة النجم[٣].

وقرأه يحيى بن وثاب بالوجهين كالحسن البصرى[٤].

وهاتان القراءتان من قبيل الجمع الصريح؛ لأن النجم يجمع على نُجُم بضمتين كرهن ورُهن، وسقف وسُقُف، ويحتمل أن يكون النجم قد جمع على نجم بضم فسكون، كما قيل: فرس وَرْد، وخيل وُرْد، وسهم حَشْر، وسهام حُشْر، ثم ثقل الجمع فصار إلى النُّجُم بضمتين[٥].

هذا وهناك احتمال آخر وهو ألا يكون النُّجم بضمتين فرعا عن النجم بضم فسكون، كما ذكرنا، وإنما يكون متفرعا عن (النجوم) الجمع الأشهر للنجم، كفلس وفلوس، وتمَّ ذلك بتقصير هذه الواو إلى الضمة القصيرة[٦] فصارت النجوم إلى النجم بضمتين.

ولذلك التقصير نظائر فى كلام العرب، منها قولهم فى جمع الأَسَدِ أُسودٌ، ثم يقصرونه إلى الأُسُد بضمتين.

ومنها قول الشاعر:

إن الذى قضى بذا قاض حكمْ أن ترد الماء إذا غاب النُّجُمْ

يريد إذا غاب النجوم.

---

(١) ينظر معانى القرآن للفراء ٢/ ٩٨، والبحر والمحيط ٦/ ٥١٥، والدر المصون ٧/ ٢٠٢، وإعراب القراءات الشواذ للعكبرى ١/ ٧٥٩، والإتحاف ٢/ ١٨٢.

(٢) المحتسب ٢/ ٨، والبحر المحيط ٦/ ٥١٥.

(٣) السابق من البحر، والإتحاف ٢/ ١٨٢.

(٤) انظر المراجع الثلاثة السابقة، وذكر السمين الحلبى أن إحدى القراءتين تنسب إلى الحسن، والأخرى تنسب إلى ابن وثاب من غير تحديد ٧/ ٢٠٢ الدر المصون.

(٥) ينظر المحتسب ٢/ ٨، واللسان ٦/ ٤٣٥٧ (نجم).

(٦) ولا نقول بحذف الصائت الطويل كما قال ابن جنى فى ٢/ ٨ المحتسب.

ومنها قول الأخطل:

كلمـــع أيـــد مثـــاكـــيـــل مـــسَّلبةٍ يندبْنَ ضرس بنات الدهر والخُطُب

يريد والخطوب.

ومنها قول الشاعر:

*** حتى إذا ابتلت حلاقيم الحُلُق ***

يريد الحلوق[1].

والتجريد المقطعى يظهر ذلك التقصير، حيث نرى أن مقاطع الجمع التام «نجوم» كالآتى:

ص ح + ص ح ح + ص ح ص.

بينما نرى مقاطع الصيغة المقصورة منها نُجُم بضمتين كالآتى:

ص ح + ص ح + ص ح ص.

حيث تحول المقطع الثانى من متوسط مفتوح إلى قصير مفتوح، وبعض العرب يبالغ فيحذف الحركة القصيرة بتمامها فيقول فى النجم بضمتين النّجم بضم فسكون، كما قالوا فى الرُّسُل: الرُّسْل، فتبقى الكلمة على مقطعين بعد ضم الصامت إلى المقطع الأول، فتصير (ص ح ص + ص ح ص).

وخلاصة الأمر أن السرعة التى اعتادها البدو فى نطقهم جعلتهم يلقون الحركة بتمامها أحيانا ويجدون فى ذلك إراحة لأعضاء نطقهم، أو جعلتهم يلقون بعض الحركة من الكلمة ويحتفظون ببعضها الآخر، ويجدون فى ذلك بعض الراحة، وهذا فعل الذين قالوا فى النجوم: النجم بضمتين، فقصروا الضمة الطويلة إلى الضمة القصيرة من غير أن يستغنوا عنها بالكلية.

* * *

(١) تنظر هذه الشواهد فى المحتسب ١ / ١٩٩، ٢ / ٨، والدر المصون ٧ / ٢٠٢.